أول مُعلّم في بركاء يروي حكايته لـ«التكوين»

حمود المعولي:

طبقنا مقولة جلالة السلطان «سنعلم أبناءنا ولو تحت ظل شجرة»

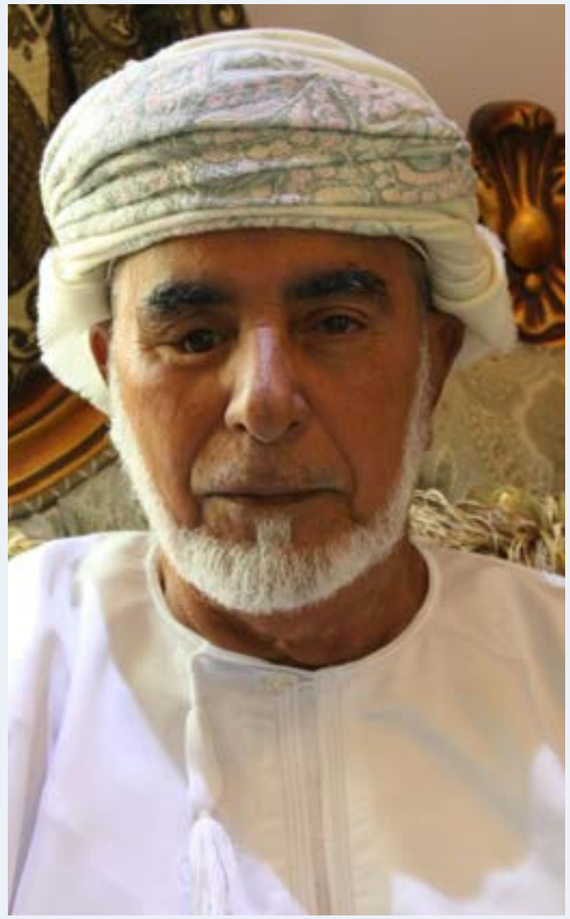

■ تربويٌ يملك خبرة طويلة بدأها منذ طفولته في الكويت، لينتقل بعدها إلى أبوظبي حيث البدايات الوظيفية والمعيشية، ثم إلى أرض الوطن الذي ناداه للرجوع ليستقر ويستمر في العطاء إلى سن التقاعد، ومعه ترك أعباء الوظيفة لكنه استمر في عطاء الأرض والروح من خلال أعماله اليومية التي يقضيها بين مزرعته وأسرته. إنه الشيخ حمود بن سعيد بن سالم المعولي الذي يُعدّ أول معلم في ولاية بركاء بعد قيام النهضة المباركة في ١٩٧٠م. «التكوين» اقتربت من هذه الشخصية التربوية، لتتعرف أكثر عليها من خلال محاور عدة.■

حاوره: سيف العولي

البدايات

● حدّثنا عن بداياتك مع التعليم

وُلدت في عام ١٩٤٩م في مسقط، وفي منتصف خمسينيات القرن الماضي ذهبت مع أخي طالب المعولي إلى الكويت حيث كان يدرس هناك، وكان عمري حينها سبع سنوات تقريبا. فدخلت مدرسة اسمها قتيبة، فاجتزت المرحلة الابتدائية ثم الإعدادية وفي حوالي ١٩٦٧م دخلت الثانوية العامة.

● قبل ذهابك إلى الكويت، هل درست في السلطنة؟

لم أدرس في مدرسة نظامية حيث لم يكن في السلطنة حينها إلا المدرسة السعيدية في مسقط، لكنّ والدي – رحمه الله– رغم عدم تعلمه إلا أنه اهتم بتعليمنا حيث كلّف أحد المشايخ بتعليمنا القرآن والفقه، وأرسل أخي طالب إلى نزوى للدراسة مع الإمام محمد بن عبدالله الخليلي.

● هل تذكر شخصيات عمانية معروفة كانت معك في الدراسة؟

كان الطلبة العمانيون الذين درسوا في المدرسة السعيدية وجاءوا إلى الكويت يلتحقون بالصف الأول الثانوي في الكويت مباشرة ، وأذكر أنني في الثانوية في الكويت كنت أدرس على طاولة واحدة مع معالي يوسف بن علوي الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية حاليا.

الالتحاق الوظيفي

● إذًا، متى بدأت مرحلة الوظيفة؟

في عام ١٩٦٩م حيث انتهيت من الصف الثاني الثانوي في الكويت، وافتُتحت الأعمال في إمارة أبوظبي فالتحقت بجيش أبو ظبي.

● ماذا كانت وظيفتك في الجيش؟

كنت عسكريا في البداية، ثم اختارني قائد السرية لأقوم بوظيفة معلم ثقافة للأفراد، إلى جانب وظيفتي العسكرية.

● ماذا كنت تدرسهم؟ وهل أعطوك منهجا محددا؟

لم يكن هناك منهج محدد للتدريس، فقمت بالذهاب إلى المكتبة واشتريت قصصا وكتبا عن الحروف وحركاتها، وكل الكتب كانت لمصريين وشاميين خصوصا الكتب من المطابع اللبنانية.

كانت الرغبة حاضرة لدى الطلبة.. وأولياء الأمور يساندوننا

● ومتى رجعت إلى السلطنة؟

عندما حدثت النهضة المباركة في ١٩٧٠م بعثت رسالة لوزارة المعارف في السلطنة، وكان وزيرها سعود بن علي الخليلي، وأخبرتهم بخبرتي وبرغبتي في الرجوع إلى الوطن والعمل فيه، فجاءني الرد برسالة عبر البريد بأن هناك أربعة خيارات أمامي إن رغبت في العمل، وهي صحار، أو نزوى أو صلالة، أو مسندم، فرفضت بسبب صعوبة المواصلات وقلة الطرق، ووعورة الموجود منها، فرددت عليهم بأنه عند فتح مدرسة في بركاء سآتي، وفعلا جاءني الرد في نهاية ١٩٧٠ بأن المطلوب مني الرجوع وفتح مدرسة في بركاء في ١٩٧١/٩/١م.

● هل كانت المدرسة موجودة أم بدأت بها من الصفر؟

عندما رجعت ذهبت لوالي بركاء في حصنه فقلت له أين

من بركاء إلى صحار علينا تبديل ملابسنا ثلاث مرات

«برقية» أخبرتنا بتولي جلالة السلطان للحكم

سيكون موقع المدرسة، فخرجنا في سيارته نتجول ولم نجد مبنى فقلنا نطبق مقولة السلطان (سنعلم أبناءنا ولو تحت ظل شجرة) فرأينا شجرتي صبار واخترنا الموقع، وقال لي من غدا ستبدأ مهمتك بتسجيل الطلبة الراغبين في التسجيل بالدراسة في ولاية بركاء.

● كيف تم تسجيل الطلاب؟ وما الآلية التي اعتمدتم عليها؟

التسجيل كان لطلاب ولاية بركاء التي كانت يومها من وادي جاسم من جهة المصنعة إلى وادي منومة من جهة السيب. وقد قمت بشراء دفتر وقلم رصاص وذهبت إلى الموقع الذي اخترناه لاستقبال طلبات التسجيل، كما أخبرت «المنادي» في السوق وهو شخص متخصص بالإعلانات الحكومية في تلك الفترة بأن ينادي لمن يرغب في التسجيل عليه التوجه إلى موقع المدرسة أو حصن الوالي.

● هل حددتم الأعمار؟ وهل التسجيل يشمل الذكور والإناث؟

لا، لم نحدد الأعمار، والتسجيل كان خاصا بالذكور دون الإناث. واستمرت هذه العملية أسبوعين استطعنا من خلالها تسجيل ١٧٠ طالبا مناسبا للتعليم فبدأنا في التدريس، من خلال ٨ فصول مبنية بالسعف النخيل (الدعن) حيث وزعنا الطلبة على ٧ فصول وخصصنا الفصل الثامن للإدارة.

● ما الآلية التي اعتمدتم عليها في توزيع الطلبة على الفصول؟ وكيف تعرفتم على أعمارهم؟

التوزيع على الفصول كان بمبدأ القراءة والكتابة، فمن كان يعرفهما يذهب للصف الثاني، والذي لا يعرفهما يكون في الصف الأول، أما معرفة الأعمار فقد ابتكر لنا أحد المعلمين طريقة ظريفة وهي أن نطلب من الطالب أن يرفع يده الأيمن ويحاول الإمساك بطرف أذنه الأيسر أو العكس، فإن أمسكه فهو قد تجاوز السادسة من عمره، وإن لم يستطع فهو لم يتجاوز هذا العمر.

● كيف اخترتم منهج الدراسة؟ وكم كان عدد الحصص؟

المنهج كان من الوزارة وهو منهج لبناني لفترة معينة ثم استبدلوه بالمنهج القطري، أما الحصص فكانت ست

حصص في اليوم بينهما استراحة (فسحة)، ونبدأ من الساعة الثامنة صباحا بطابور للتمارين الرياضية لمدة ربع ساعة، ونستمر إلى الثانية عشرة ظهرا بمعدل أربعين دقيقة لكل حصة.

● كم سنة استمريتم في هذه المدرسة؟ وما الوظائف التي تقلدتها بعد ذلك؟

بقينا فيها ثلاث سنوات، ثم انتقلنا لمدرسة مبنية من الإسمنت. وفي ١٩٧٢م دخلت في التأهيل التربوي بالمصنعة، وفي ١٩٧٤ بُعثت إلى مصر للتأهيل الوظيفي، وكان معي سعادة السيد حارب البوسعيدي وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الدينية حاليا، والسيد هلال البوسعيدي وكيل وزارة العمل سابقا وعضو مجلس الدولة حاليا، وكذلك أحمد الزبيدي عضو مجلس الدولة. وبعد عودتي من مصر كُلفت بإدارة إحدى المدارس الإعدادية في بركاء، ثم انتقلت بعدها مديرا إلى إحدى المدارس الثانوية. وفي ١٩٨٦م انتقلت إلى الإشراف التربوي لمدارس بركاء حتى نهاية ١٩٩٦م ثم تقاعدت بعد ٢٧ عاما في العمل التربوي.

خبرات تربوية

● في ظل الخبرة الكبيرة التي تملكها، كيف تنظر إلى التعليم في بدايات النهضة؟

كان الطلاب لديهم الرغبة الكبيرة للدراسة، فمنهم من يأتي على حمار، ومنهم على جمال، ومنهم من يخوض المياه والأخوار للوصول إلى المدرسة، وظهرت رغبتهم في التزامهم بالنظام، كما أن أولياء الأمور رغم عدم تعلمهم كانوا يهتمون بتعليم أبنائهم وكانوا يأتون إلى المدرسة للسؤال عن مستواهم.

● وماذا عن المعلمين؟

كان معنا خليط من المعلمين فهناك العماني وهناك السعودي وهناك المعلم من الجنسيات المصرية والفلسطينية والتونسية وغيرهم. وأذكر أن توزيع المعلمين العمانيين كان على مستويين: المعلم (أ) الذي يملك الثانوية يتسلم راتبا مقداره ٤٩ ريالا، والمعلم (ب) الذي لا يملك الثانوية

المنهج وعدم الرغبة سبب في تدني التحصيل الدراسي حاليًا

يتسلم ٤٥ ريالا، وكنا نسهر الليالي من أجل تجهيز الوسائل التعليمية التي نشتريها على حسابنا الخاص، كما أننا نأخذ دفاتر التحضير من المعلمين الوافدين للاستفادة منها، كما كنا نأخذ الطلبة في زيارات ترفيهية إلى سوق (سابع) أو ما يسمى العرصة أو الهبطة في العيدين.

● هل كنتم تستخدمون الضرب مع الطلاب؟

لم يكن بصورة كبيرة، لأن في تلك الفترة لم تكن هناك لائحة تنفيذية تمنع المعلم من الضرب، ومع ذلك حصلت معنا مشاغبات ومشادات بين الطلاب والمعلمين وتدخل أولياء الأمور الذين كانوا دائما يطالبون بمعاقبة ابنهم إذا ظهر أنه هو المخطئ.

● في رأيك ما سبب تدني المستوى التحصيلي في الوقت الحاضر؟

هناك أسباب عديدة، منها المنهج الدراسي الذي يحتاج إلى تغيير كامل، ومنها عدم وجود الرغبة والإرادة عند بعض المعلمين لذلك هم يُعدّون التدريس مجرد وظيفة ولا يسعون إلى الإبداع فيها، وكذلك أولياء الأمور الذي انشغلوا عن أبنائهم، مع دخول الإلكترونيات التي أخذت حيزا كبيرا من حياتهم.

كنت على طاولة واحدة مع يوسف بن علوي في الكويت

مشاهد خالدة

● صف لنا سفرتك إلى الكويت وكان عمرك حينها ٧ سنوات

طلب أخي طالب من والدي – رحمهما الله– أن يصحبنا معه إلى الكويت ولم يكن معنا جوازات حينها فذهبت إلا مسقط لمقابلة السيد شهاب بن ثويني لأخذ الجواز إلا أنه لم يوافق على ذلك فور معرفته بأنني ذاهب إلى الكويت للدراسة، فاضطررنا إلى الذهاب عبر سيارة عسكرية من مخلفات الحرب العالمية الثانية من بركاء إلى «مركز الأسود» وهو الفاصل بين السلطنة وإمارات ساحل عُمان في تلك الفترة ، ثم إلى دبي ومنها إلى الكويت.

● أين كنت عندما أذيع خبر تولي حضرة صاحب الجلالة الحكم في السلطنة؟

كنت في أبوظبي، وتحددا وقت العصر، حيث كنا في السوق ورأينا في شاشات التلفاز التي كانت بالأبيض والأسود، عسكريًا عليه لحية طويلة يخطب فتفاجأنا، وفي اليوم التالي كنت في عملي وجاءت برقية عبر آلة المراسلات فأخبرنا الضابط بأن المكتوب في البرقية هو تولي سلطان جديد في عمان اسمه قابوس بن سعيد، ولم نكن نعرف من قبل أن السلطان سعيد بن تيمور معه ابن اسمه قابوس.

● هل هناك من مشاهدات باقية في ذاكرتك عن صعوبة تلك المرحلة؟

نعم هناك مشاهدات كثيرة، منها أن عند رجوعي من أبوظبي إلى السلطنة أوقفتني السيارة في وادي الجزي ومن هناك ركبنا الجمال إلى صحار بسبب عدم وجود طريق، ومن المشاهدات أن مكتب الإشراف التربوي كان في صحار فإذا أردنا كتبا لمدارس بركاء نذهب بسيارات مكشوفة إلى صحار ونأخذ معنا ثلاث دهاديش لتبديلها بسبب الغبار والحرارة.

الشخصية والأسرية

● لماذا لم تتجه إلى مجال آخر غير التعليم في تلك الفترة؟

لرغبتي في البقاء في قريتي ببركاء، حيث إنني مسؤول في قرية « المراغ» ببركاء، وفضلت أن أخدمهم رغم العروض التي قُدّمت لي من عدة وزارات.

● كيف نقلت أثر تعليمك في أبنائك؟

لله الحمد أولادي واصلوا تعليمهم، ومنهم من وصل إلى جامعات بريطانية وأمريكية، ومنهم من علمته على حسابي الخاص في جامعات خاصة داخل السلطنة وخارجها.

● بعد تقاعدك هل حاولت إنشاء مدرسة خاصة؟

لا ، فأولادي أصروا عليّ أن أتجه إلى الراحة بعد ٢٧ عاما في السلك التربوي وقبلها في أبوظبي والكويت.

● إذاً كيف تقضي وقتك؟

حاليا معي مزرعة أقضي فيها بعض الوقت خصوصا بعد صلاة الفجر ورياضة المشي الصباحية.

● كم عدد الإجمالي لأسرتك؟

تزوجت مرتين، ورزقني الله بسبعة أولاد وسبع بنات، وأحفادي يتجاوز عددهم الأربعين شخصا، ومع أبنائهم يصل العدد إلى أكثر من ٧٠ شخصا.

إعلان حالة طوارئ

إبراهيم الليفي
كاتب من الكويت

الاهتزاز الذي يصيب المنزل يصيب كل أفراده وإذا كان الاهتزاز جماعيا ارتج المجتمع تحت وطأته، من المفترض في هذا السياق أن التكرار عندما يصبح عادة موسمية تنتج عنه تراكمات خبرة وحسن تدبير، اما إذا حصل العكس فذلك يعني أن الخلل في فيمن لا يتعلم أو من لا يريد أن يتعلم.

موسم عودة المدارس، يشكل واحدا من أبرز حالات الاهتزاز التي تصيب المجتمع بأكمله إلى جانب موسم الامتحانات ورمضان والعيد والعطلة الصيفية، حيث تعلن غالبية البيوت حالة الطوارئ القصوى للاستعداد النفسي والمادي لعودة قوانين الأحكام الدراسية التي تفرض على الكبار قبل الصغار انتظاما كاملا في مواعيد النوم والاستيقاظ والتجهز ليوم طويل حافل يبدأ بالزحام وينتهي بالزحام.

ذلك الموسم وغيره من المواسم ذات الطقوس الجماعية المتشابهة إلى حد كبير، يمكن النظر إليه من زاوية واحدة أعتبرها جوهر الموضوع هي التخطيط ولا شيء غير التخطيط، والأسر التي تجيد التخطيط هي الأسر التي تبتسم دوما عندما :"يكشر– معظم الناس، نراهم دوما يتحركون بخفة ويتحدثون عن نفس الصعوبات بهدوء أعصاب وعندما تواجههم بعض المفاجآت من خارج الخطة المرسومة ينتقلون بحركة سريعة إلى الخطة البديلة التي رسمت تفاصيلها تجارب سابقة أو عظة من تجارب الغير أو ربما خيال افتراضي خصيب.

موسم عودة المدارس ليس استيقاظا مبكرا ووجبات إفطار مجهزة وملابس نظيفة تنتظر من يلبسها، هو ميزانية شبيهة بميزانية الحرب، توجه كل المصادر المتاحة لتغذيتها وضمان متانتها، هو موسم تسبقه حالة وجوم لا تخفى على من يودعون أيام السهر والنوم دون حساب والتي تزداد وتيرتها بفعل "حلاوة الروح" ولكن أين المفر؟ المدرسة قادمة لا محالة، وأخيرا موسم عودة المدارس يتطلب وضع خطة الانسياب السريع في دروب ومسالك المدارس الجديدة لمن يحمل في سيارته تلامذة من مختلف المراحل الدراسية.

من يحسن التدبير يعرف أكثر من غيره أن بداية موسم المدارس لا يعني النهاية ولكنه بداية لأمر مزعج اسمه الطلبات الفجائية من بعض المدرسين، وتلك تساوت فيها مدارس القطاع العام مع الخاص، الأمر الملاحظ في ذلك هو تقارب تلك المواصفات بشكل ينتهي عند مجموعة محددة من الأسواق والمحلات وكأن الأمر دبر بليل.

في الختام رغم الاهتزاز الجماعي الذي يصيب المجتمع أثناء موسم عودة تذكرت أني لم أجد رواية تستعرض بشكل واضح حكاية المدارس وأرباب الأسر من منظور مدرس أو أم أو حتى شخص يتذكر أيامه عندما كان طالبا، هنالك بالطبع وفرة في الأفلام والمسلسلات ولكن في عالم الروايات التي نعيش زمانها لا زلت أنتظر من يخوض في العالم السري للمدارس وكيف يؤثر على المجتمع بأسره من ناحية الجيوب لا المناهج.